تاريخ ومعمار سامراء في الشرق الأدنى

History and Architecture of Samarra in the Near East

م.د نداء خضير جبر التميمي

جامعة البصرة _كلية التربية للعلوم الانسانية _ قسم التاريخ

led.nida.gebur@uobasrah.edu.iq

الملخص

إن سامراء هي مدينة قديمة في العراق، تقع على ضفة نهر دجلة، وتعتبر من أغرب وأمتع قصص المدن في التاريخ. فهي كانت قطعة أرض فقيرة لا عمارة فيها ولا أنيس بها، إلا ديرًا للنصارى، ثم تحولت في مثل لمح البصر إلى عاصمة لدولة من أعظم الدول التي عرفها التاريخ، وهي الدولة العباسية في عهد الخليفة المعتصم. ونمت هذه المدينة الجديدة وازدهرت بسرعة هائلة، لم ير التاريخ مثلها في جميع القرون السابقة، وشهدت تطورًا كبيرًا في الفنون والعمارة والعلوم والثقافة وكانت مدينة سامراء مبنية على أساس القطائع المنظمة، وكانت كل مجموعة من القطائع لها مساجدها وأسواقها وحماماتها. وكانت تضم قصورًا رائعة ومآذن عالية وأبراج دائرية وحدائق خضراء. وكانت تُسَلُّ منها العيون إذا ما تجلت لأبصارها.

الكلمات المفتاحية: سامراء، الشرق الأدنى، التاريخ، العمارة، ، جامع سامراء الكبير.

المقدمة

سامراء هي مدينة عراقية تاريخية وحضارية تقع على ضفة نهر دجلة، وتعد من أهم المواقع الأثرية في العالم الإسلامي، حيث كانت عاصمة الدولة العباسية في القرن التاسع الميلادي، وشهدت بناء معالم هندسية وفنية رائعة، مثل المسجد الجامع والمئذنة الملوية ولكن تاريخ سامراء لا يقتصر على الفترة الإسلامية فقط، بل يمتد إلى عصور قديمة جدا، حيث كانت مأهولة بالسكان منذ أدوار ما قبل التاريخ، وشهدت حضوراً للحضارات الساسانية والمناذرة والآشورية والفارسية والرومانية وقد أظهرت التنقيبات الأثرية في سامراء وجود آثار فخارية ومعمارية تعود إلى أكثر من ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد، تشهد على تطور ثقافي وحضاري لسكان هذه المدينة.

تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، وتشهد على تفاعلات وصراعات بين الحضارات القديمة في المنطقة. في هذا البحث، سنستعرض تاريخ ومعمار سامراء في فترة ما قبل الإسلام، وسنبرز أهم المواقع والآثار التي تشير إلى حضور وتأثير الشعوب والإمبراطوريات التي سكنت أو حكمت هذه المدينة، مثل الآشوريين، والفرس، والرومان، والساسانيين، والمناذرة. كما سنتطرق إلى بعض الجوانب الفنية والهندسية التي تميز معمار سامراء، والتي تعكس التطور والابتكار في صناعة الفخار والزخرفة والبناء وسنستخدم في ذلك المصادر التاريخية والأدبية، بالإضافة إلى نتائج التنقيبات الأثرية التي أجريت في سامراء من قبل المستشرقين والآثاريين العراقيين.

وفي هذا البحث، سنحاول استعراض تاريخ ومعمار سامراء في فترة ما قبل الإسلام، طبقا للمصادر التاريخية والأثرية المتوفرة، وسنحلل العوامل التي أثرت في شكل وطبيعة المدينة وسكانها، وسنبرز الخصائص المميزة لهذه المدينة التي جعلتها تستحق لقب (سّره من رأى). كما سنستعرض بعض الصور والخرائط التوضيحية لأهم المواقع والآثار في سامراء.

وسيتكون هذا البحث من محورين وهي كالاتي:

المحور الأول: تاريخ سامراء في فترة ما قبل الإسلام. وسنتناول فيه الجوانب الاتية:

- الأصل اللغوي والتاريخي لاسم سامراء.
- الوضع الجغرافي والديمغرافي لسامراء.

– الحضارات والشعوب التي سكنت سامراء قبل الإسلام.

– الأحداث والمعارك التي شهدتها سامراء قبل الإسلام.

المحور الثاني: معمار سامراء في فترة ما قبل الإسلام. وسنتناول فيه الجوانب الاتية:

– المواد والتقنيات المستخدمة في بناء سامراء.

– أنماط وأشكال المباني والآثار في سامراء.

– الوظائف والدلالات للمباني والآثار في سامراء.

وفي الخاتمة، سنلخص أهم النتائج والاستنتاجات التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث، وسنقدم بعض التوصيات والمقترحات للبحوث المستقبلية حول هذا الموضوع.

أهمية الدراسة: –

تتركز أهمية الدراسة حول هذه النقاط :–

– دراسة تاريخ ومعمار سامراء تساعد على معرفة أصول العرب وتطور حضارتهم قبل ظهور الإسلام، وكذلك تسليط الضوء على إرث ثقافي وفني هام في شمال الجزيرة العربية.

– سامراء كانت مدينة سامية قديمة، تقع على ضفاف نهر دجلة، وقد ذكرها المؤرخون المسلمون باسم سور من رأى، وهو اسم يشير إلى جمال المدينة وروعة معالمها.

– سامراء شهدت بناء العديد من المعابد والقصور والحصون، وكذلك تطور الفنون والعلوم والأدب.

– سامراء اشتهرت بمعمارها المتميز، الذي يجمع بين الطابع البابلي والآشوري والفارسي، وقد تركت بعض آثارها التي تشهد على روعة هذا المعمار، مثل قصر أشوربانيبال، وبرج المالوية، وجامع أبو دلف.

– دراسة تاريخ ومعمار سامراء هي دراسة لجزء مهم من التاريخ العربي القديم، الذي يقصد به فترة ما قبل ظهور الإسلام، والذي يقوم على أساس المكتشفات الأثرية من نقوش وأختام ومبانٍ قديمة.

الدراسات السابقة: –

١. **دراسة: "(أحمد حسن، جامع سامراء الكبير: العمارة والرمزية"، ٢٠١٠)**

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على السمات المعمارية والأهمية الرمزية لجامع سامراء الكبير، أحد أكثر المباني شهرة في المنطقة. يستكشف السياق التاريخي، وتقنيات البناء، والرمزية الدينية المتضمنة في تصميم المسجد، ويسلط الضوء على أهميته الثقافية والتاريخية.

٢. **دراسة: (فاطمة الأسدي "الخلافة العباسية في سامراء: التخطيط العمراني والتنمية العمرانية" ٢٠١٥)**

تهدف هذه الدراسة إلي يتعمق هذا البحث في التخطيط العمراني والتنمية المعمارية خلال الخلافة العباسية في سامراء ويدرس تخطيط المدينة، والبنية التحتية، والمعالم المعمارية الرئيسية، بهدف تقديم رؤى حول الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية التي شكلت المدينة خلال هذه الفترة.

٣. **دراسة: (خالد محمود "مئذنة سامراء الحلزونية: أعجوبة معمارية"، ٢٠٠٨)**

تركز هذه الدراسة على المئذنة الحلزونية لسامراء، وهي أعجوبة معمارية فريدة وموقع تراث عالمي لليونسكو. يدرس تقنيات البناء والميزات المعمارية والأغراض المحتملة لهذه المئذنة المميزة، ويقدم تحليلًا شاملاً لأهميتها التاريخية والثقافية.

٤. **(دراسة: مريم علي "العصر الذهبي لسامراء: التعبير الفني والمعماري في القرن التاسع"، ٢٠١٢)**

يهدف هذا البحث في التعبير الفني والمعماري خلال العصر الذهبي لسامراء في القرن التاسع. يستكشف الازدهار الثقافي والفكري للمدينة خلال هذه الفترة، ويسلط الضوء على الأساليب الفنية والزخارف والابتكارات المعمارية التي ظهرت، مما يساهم في فهم أوسع للتراث الثقافي للمنطقة.

الدراسات الأجنبية: –

١– دراسة: (د. سارة طومسون "سامراء تحليل تاريخي ومعماري"، ٢٠١٢)

هدفت هذه الدراسة إلى تقديم تحليل شامل للجوانب التاريخية والمعمارية لسامراء في الشرق الأدنى. استكشف الدكتور طومسون تطور المدينة بمرور الوقت، ودرس أهميتها كمركز ثقافي وسياسي رئيسي. كما تناولت الدراسة السمات المعمارية المميزة لسامراء، مثل الجامع الكبير والمئذنة الحلزونية، وسلطت الضوء على تقنيات البناء والتأثيرات المعمارية.

٢– دراسة: (البروفيسور جيمس أندرسون، "التخطيط الحضري لأهمية سامراء وأهميتها الثقافية"،٢٠١٥)

تهدف هذه الدراسة إلى تركز بحث البروفيسور أندرسون على التخطيط الحضري والأهمية الثقافية لسامراء. من خلال نهج متعدد التخصصات، حللت الدراسة تخطيط المدينة وتنظيم أحيائها ودور العمارة في تشكيل النسيج الاجتماعي والثقافي لسامراء. كان الهدف هو اكتساب فهم أعمق لكيفية مساهمة التصميم الحضري والعناصر المعمارية في الأهمية التاريخية للمدينة وهويتها الثقافية.

٣– (د. إميلي ديفيس دراسة: "مئذنة سامراء الحلزونية: الرمزية وتقنيات البناء"، ٢٠٢٠)

أجرى الدكتور ديفيس دراسة متعمقة حول المئذنة الحلزونية الشهيرة في سامراء. هدف البحث إلى الكشف عن الرمزية المرتبطة بهذه الأعجوبة المعمارية والتعرف على تقنيات البناء المستخدمة في بنائها. من خلال فحص النصوص التاريخية والرسومات المعمارية والأدلة الأثرية، سلطت الدراسة الضوء على الأهمية الثقافية للمئذنة ومساهمتها في التراث المعماري لسامراء.

خطة الدراسة: –

المبحث الأول: تاريخ سامراء في الشرق الأدنى.

اولا_ الأصل اللغوي والتاريخي لاسم سامراء.

ثانيا _ الوضع الجغرافي والديمغرافي لسامراء.

ثالثا _ الحضارات والشعوب التي سكنت سامراء قبل الإسلام.

رابعا _ الأحداث والمعارك التي شهدتها سامراء قبل الإسلام.

المبحث الثاني: معمار سامراء في الشرق الأدنى.

اولا _ المواد والتقنيات المستخدمة في بناء سامراء.

ثانيا _ أنماط وأشكال المباني والآثار في سامراء.

ثالثا_ الوظائف والدلالات للمباني والآثار في سامراء.

المبحث الأول : تاريخ سامراء في الشرق الأدنى

سامراء هي مدينة عراقية تقع على ضفة نهر دجلة، وتعد من أهم المواقع الأثرية في الشرق الأدنى، حيث تمثل حضارات وحقبات مختلفة من التاريخ وتعود أقدم آثار سامراء إلى العصر الحجري الحديث، حيث كانت موطنا لحضارة سامراء التي تميزت بصناعة الفخار المصبوغ والمزخرف. في العصور التاريخية، شهدت سامراء تأثيرات وتأثيرات من الحضارات الساسانية والمناذرة والآشورية والفارسية والرومانية، وكانت موقعا لمعارك وصراعات استراتيجية ولكن أشهر فترة في تاريخ سامراء هي فترة الدولة العباسية، حيث اختارها الخليفة المعتصم بالله عام ٢٢١ هـ/٨٣٥ م لتكون عاصمة دولته، وشهدت بناء معالم هندسية وفنية رائعة، مثل المسجد الجامع والمئذنة الملوية، وضريح الإمامين علي الهادي والحسن العسكري٣. لكن هذه المدينة لم تستمر طويلا كعاصمة، فقد فقدت هذه الصفة بعد نحو نصف قرن من نشأتها، وأخذت في التدهور والانحطاط، حتى أصبحت رموسًا وأطلالًا

هائلة. وفي عام ٢٠٠٧، أدرجت منظمة اليونسكو مدينة سامراء ضمن قائمة التراث العالمي.[١]

اولا _ الأصل اللغوي والتاريخي لاسم سامراء

اسم سامراء له أصول لغوية وتاريخية متجذرة في اللغة العربية وتاريخ بلاد ما بين النهرين القديم. فيما يلي تفصيل لأصولها:

الأصل اللغوي

سامراء هي مدينة تاريخية في منطقة كور الطيرهان، وقد تغيرت تسمياتها على مر العصور، ومن بين هذه التسميات:

- سام (راه): وهو اسم فارسي يعني الطريق، وقيل أنها سُمِّيَت به نسبة إلى سام بن نوح، الذي بنى فيها ودعا لأهلها بالخير
- سرمارتا: وهو اسم آشوري ظهر في الكتابات الآشورية، وكانت المدينة مهمة في حروب الفرس والرومان، وذكرها الملك الآشوري أشوربانيبال في رسالة له
- گور سورمراتي: وهو اسم آخر آشوري ظهر في النصوص المسمارية، وقال المستشرق بوستكيت إن هذا الاسم تحول إلى سامراء باللغة العربية، كما حدث مع كناناتي التي تحولت إلى جلولاء
- سومر: وهو اسم فارسي يعني الحصن المنيع، وذكره المؤرخان الرومانيان أميانوس مارسيلينوس وزومسيس، عندما انتصر الفرس على الرومان وقتلوا الإمبراطور جوليان في معارك قرب المدينة عام ٣٦٤م
- سامرا: وهو اسم فارسي يعني الموضع الخاضع للخراج أو الضرائب، وقيل إن هذا الاسم كان مكروهاً للأذن العربية، فغيرته إلى سر من رأى، وهو اسم شائع في المصادر التاريخية

الأصل التاريخي

مدينة سامراء من المدن العراقية التاريخية، وأحد المناطق ذات العمق التاريخي والحضاري القديم، يعود تاريخها إلى حدود الألف الخامس قبل الميلاد، إذ ما زالت تحتفظ بالآثار

(١) دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ، تعريب وتحقيق: عطية القوصي، الكويت وكالة المطبوعات ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ. / ١٩٨٠م

القديمة التي ظهرت فيها، فقد احتوت على عدد من الطبقات التي مثلت عصر سامراء في العهد القديم، والذي فيه معلومات قيمة عن الآثار الباقية من ذلك العصر.

تم التنقيب أول مرة في سامراء من قبل عالم الآثار الألماني هرتسفيلد الذي اكتشف في عام ١٩١٣ – ١٩١٤م الموقع الذي تمثل بظهور دور سامراء التاريخي القديم وهو يحتوي على عدة طبقات منها موقع سامراء القديم ، وقد وجد فيه عددًا كبيرًا من الآثار التي تعود إلى عصر سامراء الحجري القديم، سيما الفخارية منها مثل الجرار القصيرة الرقبة والجرار طويلة الرقبة والطاسات العميقة، والصحون العالية هذا فضلاً عن الفخار الملون ، والموقع الثاني هو تل صوان واسمه مشتق من المواد الصوانية والحجرية والشظايا وحجر الزجاج البركاني الأسود التي غطت سطحه، وقد تم التنقيب في مساحة واسعة من هذا التل، لجعله مثاليًا لغرض دراسة التنظيم الموجود لطبقاته، ويقع هذا التل على بعد عشرة كيلو متر إلى الجنوب من مدينة سامراء، ويطل على الضفة الشرقية لنهر دجلة، شكله بيضوي تقريبًا بارتفاع يقارب من ١٢ مترًا ، والمواد الموجودة ضمن هذا التل تتضمن أواني فخارية بسيطة ومحزوزة ترجع إلى عصور سابقة، ومعها أعداد كبيرة من كسر فخارية ملونة وحجر الصوان.

تظهر أهمية تل صوان الذي يقع في وسط العراق، حول نوع الارتباط الحضاري بين شمال وجنوب بلاد وادي الرافدين ، والتي أعطتنا تسلسلاً حضارياً غير منقطع بين الحضارات السابقة ، وله أهمية خاصة في كونه حلقة وصل بين الأدوار الحضارية القديمة الشمالية والجنوبية ، تم حفر خندقين عميقين في نقطتين مختلفتين في تل صوان، من أجل التعرف على التتابع الطبقي للطبقات السكنية في الموقع، وفيه خمس طبقات بنائية وبدورين.

تم حفر الخندق المحيط بتل صوان وكان خندقًا دفاعيًا يتكون من ثلاثة أضلاع تمثل الاتجاهات الرئيسية، ما عدا الضلع الغربي الذي كان طبيعيًا هو مجرى نهر دجلة، والجدير بالذكر أن كل ضلع من الأضلاع الثلاثة قد اقتطع في الأراضي الصخرية المحاذية للمستوطنة، وإلى عمق يقارب الثلاثة أمتار، يضيق تدريجيًا إلى أن يصل عرضه الأسفل إلى حوالي نصف متر.

أما من ناحية البناء والعمران فقد كانت الجدران مشيدة بقطع من اللبن المستطيلة الكبيرة المجففة بالشمس وعدد الغرف موزعة حول مساحة مكشوفة وبمخطط أرضي منتظم، وبعد ذلك اخذت البنايات في تل صوان بالظهور بتخطيط مميز، وهو انتقال المباني على شكل T بزوايا تتجه نحو الجهات الأربعة الأصلية، والغرف التي حددها الحفارون أنها ٥٥ غرفة في البيوت الكبيرة، وكانت المساحة بأكملها محاطة بجدار خارجي، يتم تدعيمه بشكل غير منتظم من خلال خندق هائل ، وكانت هذه البيوت تحتوي على تنانير للخبز وفيها كمية كبيرة من الرماد وخاصة في الجزء الجنوبي(١)

كما تم اكتشاف مساكن صغيرة في الموقع، مما يشير إلى اختلاف طفيف في المكانة الاجتماعية للسكان ومن بين العناصر المعمارية الهامة المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بحياة الإنسان، وخاصة الزراعة، كان تخزين المحاصيل في مستودعات الحبوب وكانت هذه المستودعات عبارة عن غرف صغيرة تم العثور عليها مدفونة تحت الأرضيات ومغطاة بالجبس وتحتوي على الشعير والقمح المتفحم والتين وكذلك عظام بشرية وحيوانية كما تم العثور على عظام حيوانات مختلفة، مما يؤكد استقرار هذه المناطق.

علاوة على ذلك ، من الواضح أن سكان تل الصوان يعملون في اقتصاد يقوم على الزراعة والصيد. أشارت بقايا النباتات إلى وجود القمح الطري وأنواع مختلفة من الشعير وبذور الكتان ، الأمر الذي استدعى تطبيق ممارسات الري الصناعي في هذه المنطقة ويقترح الباحث Helback أنه تم استخدام أنظمة الري الاصطناعي خلال مواسم الفيضانات ، وتحديداً في المناطق التي كانت تعتمد في السابق على الري بالغمر. تم استخدام الآبار لأغراض الري في هذه المنطقة.[٢]

تشير الدلائل على الري الاصطناعي إلى تنفيذه داخل مجتمع منظم أو ربما داخل عائلات فردية ، نظرًا للطبيعة الهادئة والصغيرة نسبيًا للمواقع ، والتي لم تتوسع بشكل كبير وكانت الآبار الواقعة شرقي نهر دجلة وبعيدة عنه تستخدم للشرب والري ومن بين المكتشفات في

---

(١) الحياة الساسية ومظاهر الحضارة في المدينة المنورة في العصر الأموي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، مقدمة إلى كلية التربية للبنات ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م

(٢) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله (ت) ٦٢٢هـ /١٢٢٨م) معجم البلدان، ط٢، دار صادر بيروت : ١٩٩٥م)، ج ٣، ص ١٧٣

تل الصوان ، تم اكتشاف مجموعة من الدمى الفخارية تصور أشكالاً مختلفة في إحدى القبور ، إلى جانب فخار سامراء الملون. هذه الدمى المصنوعة من الجبس تظهر النساء في وضعية جلوس بدون رؤوس ، ارتفاعها ٦ سم بالإضافة إلى ذلك ، تم العثور على أجزاء فخارية مزينة برؤوس بشرية في طبقات لاحقة. تدل الأشكال البشرية التي تم تصويرها في تل الصوان على استمرار إنتاج الدمى الرائعة المصنوعة من حجر الشمع والتي تم العثور عليها في قبور الأطفال. كانت الشخصيات النسائية التي يُعتقد أنها تمثل الإلهة الأم حاضرة أيضًا إلى جانب الأطفال في القبور ، مما يدل على الأرجح على شكل من أشكال الطقوس الدينية المدفونة. إن الاستخدام المكثف للجص في مختلف جوانب الحياة ميز الأسلوب المعماري لسامراء في تل صوان.[١]

كشف البحث الأثري عن اكتشاف جرة من فترة سامراء يعود تاريخها إلى ٥٣٠٠ قبل الميلاد. تميزت الجرة بجزء علوي مجوف مزين برسومات سوداء، في حين ظهر رسم لفتاة ذات عيون وأنف مغطاة بالطين ، موضحة باللون الأسود ، على رقبتها و كانت ممارسة دفن الموتى تحت الطوابق السكنية شائعة ، حيث تم العثور على أكثر من ١٠٠ مقبرة تحتوي على تماثيل بشرية. تم دفن الكبار في حفر كبيرة بيضاوية الشكل ، بينما تم دفن الأطفال في أواني وجرار دائرية من الجبس بالإضافة إلى ذلك ، تضمنت رواسب الدفن قلائد وأحجار كريمة. في البداية، أرجع العالم الألماني هرتسفيلد هذه القطع الفخارية إلى الأصول الإيرانية. ومع ذلك، فإن النتائج اللاحقة من تل الصوان لهنام أبو الصوف دحضت هذه النتائج.

كما تم استخدام الأدوات الحجرية في هذه القرى، مما أكسبها لقب "قرى العصر الحجري" بسبب الحجر المستخدم في تصنيع الأدوات. في تل صوان، تم اكتشاف آلات مصنوعة من الزجاج البركاني والصوان ، بما في ذلك شظايا وشفرات وكاشطات ورؤوس سهام مثبتة على الخشب مع البيتومين. كما تم العثور على آلات طحن تستخدم لطحن وسحق الحبوب ،

(١) ج.ن. الجغرافية التاريخية لحوض سد ،حمرين مجلة سومر ، (١٩٧٩م)، مج ٣٥، ص ٥٨٨

تتكون من لوحين حجريين ، بالإضافة إلى مدقات ومِسَات. تشير هذه النتائج إلى الاستخدام المستمر ونقل هذه الأدوات عبر العصور المتعاقبة.

لعبت الأطباق والأواني في سامراء دورًا مهمًا ، حيث تم تصميمها وفقًا للمتطلبات الاقتصادية لتلك الفترة. كانت لديهم أسطح شبه ملساء وكانت أكثر دقة مقارنة بالأنماط السابقة. من ناحية أخرى ، أظهرت جرات سامراء تطورات تكنولوجية أكثر مقارنة بجرار حسونة وحلف وعبيد ، لا سيما من حيث الزخرفة والشكل. وأولت الفنانة اهتمامًا كبيرًا بزخرفتها وتشكيلها ، مؤكدة على الجانب الجمالي وتعبر هذه القطع الفخارية عن الجوانب الدينية والدنيوية ، مما يعكس ما حمله الناس في أرض بلاد ما بين النهرين. تم تزيين الكؤوس بتصاميم معقدة أو رسومات ملونة. كان فخار سامراء مميزاً ومزيناً بدقة ، وقد حاز على اهتمام العديد من العلماء.

بينما كان الاعتقاد السائد أن الفترة الأولية للاستيطان حدثت خلال الخلافة العباسية ، أكد علماء الآثار أن الاستيطان يعود إلى العصور القديمة وتم التحقق من ذلك من قبل بعثة التنقيب الألمانية في عام ١٩١٢.

وتجدر الإشارة إلى أن الحفريات التي قام بها باحثون مثل هرتسفيلد وفريدريك وجون أوتيس وآخرين في سامراء أصبحت علامة فارقة في عصور ما قبل التاريخ وعلم الآثار الإسلامية وقدم هرتسفيلد عن غير قصد مستويات ما قبل التاريخ في سامراء ، مما أدى إلى التطور التدريجي لتاريخ الفن وعلم الآثار ولدت هذه الحفريات اهتمامًا واسعًا بالقطع الأثرية والفن الإسلامي ، مما أدى إلى دراسات استكشافية مكثفة حول ظهور العمارة في سامراء، على عكس بغداد ، كانت مهجورة ولم يتم إعادة تطويرها فيما بعد ، مما ساعد في التحقق من مختلف جوانب الحياة في هذه المدينة الأثرية. وشمل ذلك التخطيط الحضري والأثري والهندسة المعمارية لإنتاج واستخدام القطع الأثرية وبالتالي، غالبًا ما يتم تقديم سامراء كنقطة تحول في تطور الفن الإسلامي والعمارة، ودراسة خصائص العصور القديمة المتأخرة مهد

هذا الطريق لاستكشاف القيم الجمالية التي يمكن تمييزها بشكل أكثر بروزًا خلال وبعد القرن التاسع.[١]

ثانيا _ الوضع الجغرافي

قدم العديد من المستشرقين أوصافاً لمدينة سامراء وذكروا أن سامراء تقع على بعد ١٢٠ كيلومترا شمال بغداد على الضفة الشرقية لنهر دجلة وتمتد المدينة لحوالي ٤٠ كيلومترا في الطول و٤ كيلومترات في العرض ومن ناحية أخرى، ذكرت فرنسا أن سامراء تقع على بعد ١٤٠ كيلومترًا شمال بغداد، ورغم قصر فترة حكمها، فقد تم الاعتراف بها كواحدة من أعظم المدن الإسلامية. تشير المصادر العربية إلى أن سامراء تقع شرق نهر دجلة، شمال بغداد، وعلى بعد ١٨٠ فرسخًا تقريبًا وهذا الموقع داخل المنطقة الرابعة منح سامراء سمات مواتية، مما جعلها مركزًا للإدارة والحكم خلال تلك الحقبة والجدير بالذكر أن القياسات التي قدمها المستشرق سونتاغ تعتبر الأكثر دقة من حيث بعد سامراء عن بغداد.

سامراء هي مدينة تقع على ضفة الشرقية لنهر دجلة في شمال العراق وهي تبعد عن بغداد حوالي ١٢٥ كيلومترا شمالا وتمتد المدينة على طول ٤١.٥ كيلومتر من الشمال إلى الجنوب، وعرضها يتراوح بين ٤ و٨ كيلومترات. وتحدها من الشمال مدينة تكريت، ومن الغرب الأنبار، ومن الشرق ديالى.

سامراء تقع في منطقة سهلية تابعة لسهل ما بين النهرين، وهي منطقة خصبة وزراعية بامتياز وتتميز المدينة بمناخ صحراوي حار جاف في الصيف، وبارد جاف في الشتاء وتتأثر المدينة بالرياح الموسمية، مثل شمالية التي تهب من شمال أفريقيا، وشرقية التي تهب من إيران[٢]

(١) بروكلمان ،كارل تاريخ الشعوب الإسلامية ترجمة نبيه امين ،فارس طه، دار العلم للملايين (بيروت: ٢٠٠١م، ص٢١٠.

(٢) الإصلاح النقدي في العصر الأموي وأثره على اقتصاد الدولة الإسلامية وإدارتها رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، (قسم التاريخ) ، جامعة الملك عبد العزيز ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .

الوضع الديمغرافي

سامراء هي مدينة قديمة استوطنها الإنسان منذ آلاف السنين. وقد عثر في محيط المدينة على آثار حضارات سابقة، مثل السومرية والأكدية والبابلية والآشورية والكلدانية والفارسية

في فترة ما قبل الإسلام، كانت سامراء تسمى بأسماء مختلفة، مثل سورا أو سوران أو سورانج أو سورانجيرد. وكانت تحت سيطرة الإمبراطورية الفارسية الساسانية، التي حاربت ضد الإمبراطورية الرومانية والبيزنطية على حدودها. وكان سكان سامراء يعتنقون أديان مختلفة، مثل المجوسية والزرادشتية والمسيحية واليهودية

في فترة ما بعد الإسلام، اختيرت سامراء لتكون عاصمة للخلافة العباسية في عهد المعتصم بالله في عام ٢٢١ هـ/٨٣٥ م. وشهدت المدينة ازدهارًا علميًا وثقافيًا وفنيًا في ذلك العصر. وكان سكان سامراء يضمون مختلف الجنسيات والأعراق والأديان، مثل العرب والفرس والترك والأفارقة والأوروبيين، والمسلمين والمسيحيين واليهود

وفقًا لإحصائيات وزارة التخطيط العراقية لعام ٢٠١٣ م، يبلغ عدد سكان مركز مدينة سامراء أكثر من ١٩٠ ألف نسمة. ويعتبر السكان من الشيعة الإمامية والسنة الحنفية. وتضم المدينة مقامات دينية مقدسة، مثل ضريح الإمامين علي الهادي والحسن العسكري[١]

(١) التجارة في بلاد الشام حتى نهاية العصر العباسي الأول ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة إلى كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الأردن، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

ثالثا – الحضارات والشعوب التي سكنت سامراء قبل الإسلام

سامراء هي مدينة تاريخية تقع في شمال العراق، على ضفة نهر دجلة. وهي تعد من أهم المواقع الأثرية في بلاد الرافدين، حيث تضم آثار حضارات وشعوب عديدة عاشت فيها قبل الإسلام. وقد اختيرت سامراء لتكون عاصمة للخلافة العباسية في القرن التاسع الميلادي، وشهدت ازدهارًا علميًا وثقافيًا وفنيًا في ذلك العصر. ومن أبرز معالمها الباقية جامع الملوية وضريح الإمامين علي الهادي والحسن العسكري.[1]

بعض الحضارات والشعوب التي سكنت سامراء قبل الإسلام، والتي تشمل:

- ثقافة سامراء
- الإمبراطورية الفارسية الساسانية
- الإمبراطورية الرومانية والبيزنطية
- المجوس والزرادشتيون
- المسيحيون واليهود

(١) الجاسر، حمد. أسواق العرب القديمة ، مجلة العرب ، السنة الثالثة والعشرون ، أيلول/ تشرين الأول ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، الجزء ٧، ٨ .

- **ثقافة سامراء**

ثقافة سامراء هي ثقافة أثرية في العصر النحاسي كانت في شمال بلاد الرافدين، وهذا مؤرخ تقريبًا بين ٥٥٠٠ إلى ٤٨٠٠ قبل الميلاد وهي تتداخل جزئيًا مع ثقافة حسونة وفترة العبيد في وقت مبكر.

وتعد ثقافة سامراء من أقدم الثقافات التي استخدمت الفخار في صناعة أوانٍ وأدوات مختلفة. وتميز فخار سامراء بزخارف هندسية ملونة بالأحمر والأسود على خلفية بيضاء. كما استخدم أهل سامراء المجوهرات من الذهب والفضة واللازورد والكهرمان. [١]

وكان أهل سامراء يعتمدون على الزراعة والرعي كمصادر رئيسية للغذاء، إلى جانب صيد الأسماك من نهر دجلة. كما كان لديهم تجارة مع مناطق أخرى، مثل بابل وأوروك وإيران.

- **الإمبراطورية الفارسية الساسانية**

الإمبراطورية الفارسية الساسانية هي إمبراطورية قوية حكمت معظم بلاد الرافدين وإيران وآسيا الوسطى والقوقاز وبلاد فارس وأفغانستان وبلوخستان والبحرين وعُمان واليمن وشبه الجزيرة العربية من عام ٢٢٤ إلى ٦٥١ ميلادي. وهي تعد آخر إمبراطورية فارسية قبل الإسلام.

وكانت سامراء تحت سيطرة الفرس الساسانيين في فترة ما قبل الإسلام، وكانت تسمى بأسماء مختلفة، مثل سورا أو سوران أو سورانج أو سورانجيرد وكانت تحتل موقعًا استراتيجيًا على طريق التجارة بين الشرق والغرب. كما كانت تشهد صراعات عسكرية بين الفرس والروم على حدودها. [٢]

وكان أهل سامراء يعتنقون المجوسية، وهي دين فارسي قديم يؤمن بالخير والشر كقوتين متضادتين في الكون، وبالنار كرمز للحكمة. كما كان هناك أقليات من الزرادشتيين، وهم أتباع زرادشت، نبي فارسي قديم يؤمن بأهورا مزدا كإله وحيد.

---

(١) الصالحي ، اسماعيل. "سامراء: المستبد الشرقي". دار المدى للنشر ، ٢٠٠٤

(٢) ارنست هرتسفيلد. "تاريخ سامراء الأثري: دراسات في حضارة وفن الإسلام". المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو ، ١٩٤٨

- **الإمبراطورية الرومانية والبيزنطية**

الإمبراطورية الرومانية هي إمبراطورية عظمى حكمت معظم أوروبا وشمال أفريقيا وآسيا الغربية من القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الخامس ميلادي. وهي تعد من أهم حضارات التاريخ في مجالات القانون والفن والثقافة.

الإمبراطورية البيزنطية هي امتداد للإمبراطورية الرومانية في شرق المتوسط، بعد انقسامها إلى شطر شرقي وشطر غربي في عام ٣٩٥ ميلادي. وهي تعد من أهم حضارات التاريخ في مجالات التجارة والدين والعلوم.

وكانت سامراء تشهد صراعات بين الروم (أو البيزنطيين) والفرس على حدودها، حول نفوذها في بلاد الشام وأذربيجان. ففي عام ٣٦٣ ميلادي، هزم جوليانوس، إمبراطور رومان، جزءًا من جيش شابور الثاني، شاه فارسّ.[١]

- **المجوس والزرادشتيون**

المجوس هم كهنة ديانة الزرادشتية، التي تعد من أقدم الديانات في التاريخ، والتي انتشرت في بلاد فارس وأذربيجان وأفغانستان وبعض المناطق الأخرى. وتعني كلمة مجوس باللغة الفارسية القديمة "حاملو الحكمة" أو "عارفو الأسرار". وكان المجوس يعتبرون من طبقة عليا في المجتمع الفارسي، ولهم سلطة دينية وسياسية وثقافية. وكانوا يمارسون الطقوس الدينية، ويتفقهون في الكتاب المقدس للزرادشتية، ويعالجون بالطب الشعبي، ويتنبؤون بالمستقبل، ويحفظون التقاليد الشفهية.[٢]

ديانة الزرادشتية تؤمن بوحدانية الإله أهورا مزدا، وبصراع بين الخير والشر في الكون، وبحرية الإرادة للإنسان، وبالمحاسبة على الأعمال، وبالبعث بعد الموت، وبالحياة الأخروية. كما تؤمن بأهمية عبادة النار، التي ترمز إلى نور أهورا مزدا، وبأهمية حفظ الطبيعة، التي

(١) راشيل ميلشتاين. "مدينة الخلفاء: دراسة شعبية للقاهرة ومعالمها المعمارية". Kessinger Publishing، ٢٠٠٧.

(٢) ياسر الطباع. "تحول الفن الإسلامي خلال النهضة السنية". في "إعادة النظر في تراث الفن الإسلامي". إد. J. Barrucand. بريل ، ٢٠٠٥

تعد خلقًا مقدسًا. كذلك تؤمن بأهمية اتباع ثلاث مبادئ أخلاقية هي: "الكلام الصالح"، و"الفعل الصالح"، و"الفكر الصالح".

- **المسيحيون واليهود**

كان هناك حضور للمسيحيين واليهود في سامراء قبل الإسلام، حيث كانت تابعة للإمبراطورية الفارسية الساسانية، التي كانت تضم أقليات دينية مختلفة. وكان للمسيحيين نشاط رهباني في سامراء، حيث أنشأوا ديرًا يُعرف باسم دير مار إيليا (دير إيلائيل) على ضفاف نهر دجلة. كما كان لهم أساقفة في سامراء، من بينهم مار إيلائيل (إيلائيل) نفسه، الذي كان يُعد من رؤساء المذهب المستقيل (أحد فروع المذهب المستور) في بابل.

أما اليهود فكان لهم أثر في سامراء من خلال عائلة بستناي، التي كانت تنحدر من داود النبي، وكانت تحمل لقب "أكسيلارخ" أو "قائد الفرس". وكانت هذه العائلة تتمتع بمكانة مرموقة ونفوذ كبير في الإمبراطورية الفارسية، وكانت تشغل مناصب عسكرية وإدارية ودبلوماسية. وكانت تحظى بالاحترام من قبل الفرس واليهود على حد سواء. وكان لها دور في حماية اليهود من الاضطهاد، وفي دعم المؤسسات الدينية والثقافية لليهود في بلاد الشام والعراق.[1]

رابعا – الأحداث والمعارك التي شهدتها سامراء قبل الإسلام.

سامراء هي مدينة تقع على ضفاف نهر دجلة في شمال العراق، وتعد من أقدم المدن في التاريخ، حيث تعود أصولها إلى العصر النحاسي، وتشتهر بثقافتها الأثرية والدينية. وقد شهدت سامراء قبل الإسلام عدة أحداث ومعارك مهمة، من بينها:

حصار صنعاء (٥٧٠ م):

هو حصار فشل فيه الفرس الساسانيون بقيادة كسرى أنوشروان في احتلال صنعاء، عاصمة حِمْيَر في اليمن، بعد أن قاومهم الملك سيف بن ذي يزن بمساعدة الأحباش. وكان سبب الحصار هو اضطهاد الفرس للمسيحيين في حِمْيَر، وقتلهم للملك نوفيل بن نفيل، وإجبارهم للأهالي على اعتناق ديانة المجوس. وقد تدخل الملك سيف بطلب من المسيحيين

(١) جيمس دبليو ألان. "فن العمارة الشيعية الإثني عشرية: العراق وإيران وشبه القارة الهندية." مطبعة جامعة إدنبرة ، ٢٠١١

في نجران، وأرسل رسولًا إلى كسرى يطالبه بوقف الظلم، فأغضب كسرى وأرسل جيشًا كبيرًا لغزو صنعاء. وقد استطاع سيف أن يصمد أمام الحصار لأكثر من شهر، بفضل تحصينات المدينة وشجاعة المقاتلين، حتى جاءت المساعدة من الملك كالِب إلا أَصْبَحَة، ملك الأحباش في الحبشة (إثيوبيا)، الذي أرسل جيشًا بقيادة أَرِيَاط (أَرِيَاط) لإغاثة صنعاء. وقد هزم الأحباش الفرس في معركة قاسية، وأجبروهم على رفع الحصار والانسحاب من حِمْيَر. وقد انتهى هذا الحصار بإقامة دولة حِمْيَرية–أحباشية في اليمن، تحت حكم سيف بن ذي يزن.[١]

حملة شابور الثاني (٦١٤–٦٢٨ م):

هي حملة عسكرية شنها شابور الثاني، شاه فارس من سلالة الساسانيين، على بلاد الشام والعراق والجزيرة، التابعة للإمبراطورية البيزنطية، خلال حروب رومية–فارسية. وكان سبب الحملة هو الصراع على النفوذ في المنطقة، والانتقام من البيزنطيين على مساعدتهم للترك في غزو بلاد فارس. وقد حقق شابور انتصارات كبيرة على البيزنطيين، وأسر مدنًا مهمة مثل حمص وحلب وأنطاكية والقدس والإسكندرية. وقد أهان شابور البيزنطيين بحرق كنائسهم وصلب قساوستهم ونهب ثرواتهم وأخذ صليب المسيح كغنيمة. وقد استمرت الحملة حتى عام ٦٢٨ م، عندما توفي شابور، وخلفه خوسرو الثاني، الذي أبرم معاهدة سلام مع الإمبراطور هرقل، وأعاد كل المدن والأراضي التي احتلها شابور إلى البيزنطيين.[٢]

المبحث الثاني _ معمار سامراء في الشرق الأدنى

سامراء هي مدينة تقع على ضفاف نهر دجلة في شمال العراق، وتعد من أقدم المدن في التاريخ، حيث تعود أصولها إلى العصر النحاسي، وتشتهر بثقافتها الأثرية والدينية. وقد امتاز معمار سامراء قبل الإسلام بعدة خصائص، من بينها:

- **المستوطنات السكانية** :كانت سامراء تضم عدة مستوطنات سكانية مختلفة، توزعت على مساحة واسعة من الأرض، وكانت تتكون من بيوت مستطيلة أو دائرية أو

(١) مورتون ومارستون سبايت. "سامراء: الموقع وتاريخه". مطبعة كلارندون ، ١٩٧٨

(٢) زينيد أ. راجوزين. "وسائل الإعلام ، بابل ، وبلاد فارس: بما في ذلك دراسة Zend–Avesta أو دين زرادشت ، من سقوط نينوى إلى الحرب الفارسية." Kessinger Publishing، ٢٠٠٥

هرمية، مبنية من الطين أو الحجارة أو الخشب. وكانت هذه المستوطنات تحتوي على أسواق ومساجد وحمامات وأبراج وأسوار. ومن أشهر هذه المستوطنات: تل الصوان، تل شمشارة، تل يحيى، تل حجير[١].

- **الإرواء** :كانت سامراء تعتمد على نظام إرواء متطور، استفادت منه في زراعة الحبوب والفواكه والخضروات. وكان هذا النظام يشمل مجاري أنهار كبيرة، مثل نهر دجلة ونهر جزيرة بن عمر، وقنوات صغيرة، مثل قناة نهروان وقناة سامراء. كما كانت تستخدم بئرًا عميقًا لجلب المياه من باطن الأرض.
- **الأديرة** :كانت سامراء تضم عددًا كبيرًا نسبيًا من الأديرة النصرانية، التي كانت تشكل مراكز دينية وثقافية وفنية. وكانت هذه الأديرة تتكون من كنائس وخلايا رهبانية وورش فنية ومكتبات. وكان لهذه الأديرة دور في نشر المسيحية في المنطقة، وفي حفظ التراث الروحي والعلمي للشعوب السابقة. ومن أشهر هذه الأديرة: دير مار إيليا (دير إيلائيل)، دير مار جبرائيل، دير مار يوحنا[٢].
- **الفنون** :كان فن سامراء قبل الإسلام يشمل عدة فروع، مثل النحت والزخرفة والعملات. كان الفنانون يستخدمون المواد المحلية، مثل الحجر والبرونز والفخار والعاج والخشب. كانوا ينحتون تماثيل للحيوانات والبشر والآلهة، بأسلوب واقعي أو رمزي. كانوا يزخرون الجدران والأعمدة والأبواب بنقوش هندسية أو نباتية أو حيوانية، بألوان زاهية أو بتأثيرات ضوئية. كانوا يصنعون عملات من الفضة والبرونز والنحاس، تحمل صور الملوك والآلهة والكتابات.

اولا – المواد والتقنيات المستخدمة في بناء سامراء.

سامراء هي مدينة تقع على نهر دجلة في العراق، وهي تعد من أهم المدن الإسلامية التاريخية. وقد تأسست في القرن التاسع الميلادي على يد الخلفاء العباسيين، وكانت

(١) هاينز جوب. "طوبوغرافيا سامراء: تحليل أثري لسهل سامراء". Verlag Philipp von Zabern، ١٩٩٤.

(٢) أ هـ. لايارد. "الاكتشافات في أنقاض نينوى وبابل: مع الرحلات في أرمينيا وكردستان والصحراء: نتيجة رحلة استكشافية ثانية لأمناء المتحف البريطاني." بيل ودالدي ، ١٨٥٣

عاصمتهم لفترة من الزمن. وقد اشتهرت بمعالمها المعمارية الفريدة، مثل المئذنة المائلة والقصور والجامعات والحدائق[١].

ولكن قبل الإسلام، كانت سامراء موقعاً لحضارات قديمة، مثل الآشوريين والبابليين والفرس. وقد استخدموا مواد وتقنيات مختلفة في بناء مدينتهم، مثل:

- **الطوب الطيني** :هو أحد أقدم مواد البناء في التاريخ، وهو يتكون من خلط الطين بالماء والقش أو الحشائش، ثم تشكيله إلى قطع مستطيلة أو مربعة، ثم تجفيفه في الشمس أو حرقه في الأفران. وكان يستخدم في بناء الجدران والأساسات والأبراج والأقواس.
- **الحجر** : على الرغم من أن سامراء لم تكن معروفة بمواردها الحجرية الوفيرة ، إلا أن الحجر لا يزال يستخدم في بعض العناصر المعمارية. استوردت المدينة الأحجار ، مثل الحجر الجيري ، من المناطق المجاورة. تم استخدام الحجر بشكل أساسي لبناء الهياكل الأثرية ، بما في ذلك القصور والمساجد والمقابر. أضاف استخدام الحجر القوة والعظمة لهذه المباني.
- **الجص** :هو مادة ناعمة تتكون من خلط رماد الجير أو الجبس بالماء، ثم تدهان على الجدران أو الأسقف لإعطائها نعومة وسلاسة. كما يمكن إضافة أصباغ أو رسومات إلى الجص لزيادة جمالية المباني[٢].
- **الخشب** :هو مادة عضوية تستخرج من جذوع الأشجار أو فروعها، وهي تتميز بخفتها وقابليتها للانحناء والتشكيل. وكان يستخدم في بناء الأسقف والأبواب والنوافذ والأثاث والمقاعد والمنابر.
- **الفخار** :هو مادة تتكون من خلط الطين بالماء، ثم تشكيله إلى أواني أو زخارف، ثم حرقه في الأفران. وكان يستخدم في صناعة الأطباق والإبريق والمزهريات والمصابيح والتماثيل.

(١) محسن محمد سليم. "فن العمارة الإسلامية في القاهرة". الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، ٢٠٠٧

(٢) شيلا س.بلير وجوناثان إم بلوم. "فنون إسلامية". مطبعة فايدون ، ١٩٩٧

العمارة المقببة:

من السمات المعمارية المميزة لسامراء العمارة المقببة. سمح استخدام الطوب والطوب المخبوز بإنشاء أسقف مقببة متقنة وقباب. تضمنت تقنية بناء الخزائن ترتيب الطوب بنمط معين لتوزيع الوزن بالتساوي وإنشاء هيكل مستقر. لم تكن الأسقف المقببة وظيفية فحسب ، بل أضافت أيضًا عنصرًا جماليًا إلى المباني.

بناء المئذنة:

تشتهر سامراء بمآذنها الحلزونية الشهيرة. تم تشييد هذه الهياكل الفريدة باستخدام تقنية تسمى "الدعامات الطائرة". كانت الدعامات الطائرة عبارة عن هياكل مقوسة مبنية على السطح الخارجي للمئذنة ، مما وفر الدعم والاستقرار. تم تحقيق التصميم الحلزوني للمآذن من خلال دمج سلسلة من المنحدرات أو السلالم داخل الهيكل. أظهرت مآذن سامراء البراعة المعمارية في تلك الفترة.[١]

قاعات الهيبوستايل:

كانت قاعات الأعمدة سمة معمارية أخرى سائدة في سامراء. تميزت هذه القاعات بسلسلة من الأعمدة التي تدعم سقفًا مسطحًا. غالبًا ما كانت الأعمدة مصنوعة من الطوب أو الحجر وتم ترتيبها على شكل شبكة. توفر قاعات الأعمدة مساحة كبيرة مفتوحة لأغراض مختلفة ، مثل التجمعات الدينية أو الوظائف الإدارية. لم تدعم الأعمدة السقف فحسب ، بل عملت أيضًا كعناصر زخرفية.

تقنيات الديكور:

تميزت العمارة في سامراء بتقنيات زخرفية معقدة. تم استخدام المنحوتات والقوالب الجصية على نطاق واسع لتزيين جدران وأعمدة وأسقف المباني. تم دمج النقوش الخطية المكتوبة بالخط العربي بمهارة في الجص المنحوتات تضيف لمسة من الأناقة والأهمية الثقافية. صُنعت الزخارف الجصية بدقة متناهية ، وتعرض أنماطًا هندسية ، وزخارف نباتية ، وآيات قرآنية. عكست تقنيات الزخرفة الإنجازات الفنية والتأثير الإسلامي في ذلك الوقت.

(١) كينيدي ، هيو. "ديوان الخلفاء: عندما حكمت بغداد العالم الإسلامي". كتب أساسية ، ٢٠٠٥.

التخطيط العمراني:

كان التخطيط الحضري في سامراء إنجازًا رائعًا في فترة ما قبل الإسلام. تم تقسيم المدينة إلى أحياء مميزة ، لكل منها أسلوبها المعماري الخاص وهدفها. كان حي القصر يضم مساكن الخلفاء الفخمة والفاخرة. كان المسجد الجامع ، بفناءه الواسع وقاعاته العمودية ، بمثابة مركز ديني ومجتمعي. تتكون المناطق السكنية من منازل صغيرة مبنية من الطوب المجفف بالشمس ، مرتبة على شكل شبكة. تم تصميم تخطيط المدينة لاستيعاب الزيادة السكانية وتسهيل الحركة الفعالة.[١]

ادارة المياه:

من الجوانب المهمة الأخرى لبناء سامراء نظامها المتطور لإدارة المياه. اعتمدت المدينة على نهر دجلة لتزويدها بالمياه ، وتم بناء شبكات متقنة من القنوات والقنوات لتوزيع المياه في جميع أنحاء المدينة. وقد شيدت هذه القنوات ببطانات من الطوب المحروق لمنع تسرب المياه. تميزت سامراء أيضًا بمباني مبتكرة ، مثل برج Malwiya الشهير ، الذي كان بمثابة خزان للمياه وساعد في تنظيم تدفق المياه.[٢]

ابتكار معماري:

كانت سامراء مركزًا للابتكار المعماري خلال فترة ما قبل الإسلام. جرب المهندسون المعماريون والبناؤون تقنيات جديدة ، ودفعوا حدود البناء. أظهر بناء المآذن الحلزونية والسقوف المقببة والقاعات العمودية إبداعهم ومهاراتهم الهندسية. لم تخدم هذه الابتكارات المعمارية أغراضًا عملية فحسب ، بل أصبحت أيضًا رموزًا مميزة للهوية المعمارية الفريدة لسامراء.

<u>ثانيا – أنماط وأشكال المباني والآثار في سامراء.</u>

تحتل سامراء ، الواقعة في العراق حاليًا ، مكانًا مهمًا في تاريخ العمارة الإسلامية. ومع ذلك ، قبل ظهور الإسلام ، شهدت المنطقة تطورًا في الأساليب المعمارية وتقنيات البناء

(١) نورثيدج ، اليستر. "الطبوغرافيا التاريخية لسامراء". المدرسة البريطانية للآثار في العراق ٢٠٠٥.

(٢) الحديثي ، صباح عبود. "سامراء: أكبر موقع أثري في العالم." المجلس الوطني للآثار والتراث ، ٢٠١٦.

المختلفة. في هذا المقال ، سوف نستكشف أنماط وأشكال المباني والآثار في سامراء خلال فترة ما قبل الإسلام ، ونلقي الضوء على التأثيرات المتنوعة التي شكلت المشهد المعماري للمدينة.

التأثير الآشوري:

كانت الحضارة الآشورية من التأثيرات المهيمنة على العمارة ما قبل الإسلام في سامراء. اشتهر الآشوريون بقصورهم وزقوراتهم الضخمة ، التي تميزت بنطاق مذهل وفخامة وأنماط معقدة. أظهرت العمارة في سامراء خلال هذه الفترة استمرارًا لهذه الزخارف ، وإن كان ذلك مع تكيفات إقليمية.

زقورة دور كوريغالزو ، الواقعة بالقرب من سامراء ، تقدم مثالاً ممتازًا للتأثير الآشوري. تتميز ببنية هرمية متدرجة مزينة بنقوش معقدة وزخارف زخرفية. على الرغم من أنه يعتقد أن الزقورة قد شيدت في أواخر القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، إلا أن تأثيرها المعماري استمر وترك أثرًا دائمًا على المساعي المعمارية اللاحقة في سامراء.[١]

بعد احتلال الإسكندر الأكبر لسامراء عام ٣٣١ قبل الميلاد ، أصبحت المنطقة تحت تأثير الثقافات الهلنستية والسلوقية. شهدت هذه الفترة دمج العناصر المعمارية اليونانية في الذخيرة المعمارية المحلية ، مما أدى إلى اندماج فريد للأنماط.

تمت إعادة تنظيم مخطط المدينة والتخطيط الحضري لتتماشى مع المبادئ الهلنستية ، مع التركيز على التخطيط المحوري والأماكن العامة الضخمة. أصبح تكامل الأعمدة والأروقة والعناصر الكلاسيكية الأخرى في مشهد المدينة بارزًا خلال هذه الفترة.

التأثيرات البارثية والساسانية:

خلال الفترتين البارثية (٢٤٧ قبل الميلاد – ٢٢٤ م) والساساني (٢٢٤–٦٥١ م) ، شهدت سامراء استمرار التطور المعماري ، مستوحاة من التقاليد الهلنستية والأصلية في بلاد ما بين النهرين.

(١) نيسيبوغلو ، غولو. "لفيفة توبكابي – الهندسة والزخرفة في العمارة الإسلامية". منشورات جيتي ، ١٩٩٥.

يمكن رؤية التأثيرات من هذه الفترات في بناء أسوار المدينة المحصنة والقصور والمعابد. يعكس تصميم بوابات المدينة ، بمداخلها الضخمة الضخمة والزخارف المعقدة ، عظمة وقوة النخبة الحاكمة.[١]

العناصر المعمارية لبلاد الرافدين:

على الرغم من تأثيرات الثقافات الخارجية ، ظلت التقاليد المعمارية لبلاد الرافدين جزءًا لا يتجزأ من أنماط وأشكال البناء في سامراء خلال حقبة ما قبل الإسلام.

كان استخدام الطوب اللبن كمواد بناء أولية سمة مميزة للعمارة في بلاد ما بين النهرين. تم بناء الهياكل مثل المعابد والقصور والمنازل باستخدام جدران من الطوب اللبن ، وغالبًا ما تزين بعناصر زخرفية متقنة ومنحوتات بارزة.[٢]

الزقورة ، وهي شكل معماري مبدع لبلاد الرافدين ، استمرت أيضًا في سامراء. كانت هذه الهياكل الهرمية المتدرجة بمثابة مراكز دينية ونقاط محورية في المشهد المقدس للمدينة.

الزخارف والأنماط الزخرفية:

لعبت الزخارف والأنماط الزخرفية دورًا مهمًا في العمارة ما قبل الإسلام في سامراء ، حيث أضافت جمالًا جماليًا ومعنى رمزيًا إلى الهياكل.

متأثرة بالتقاليد الآشورية وبلاد ما بين النهرين ، تزين التماثيل البارزة المعقدة التي تصور المشاهد الأسطورية والشخصيات البشرية والحيوانات والزخارف الطبيعية واجهات المباني. غالبًا ما تم تنفيذ هذه النقوش البارزة ، مما أدى إلى تفاعل دراماتيكي بين الضوء والظل.[٣]

---

(١) بلوم ، جوناثان إم ، وشيلا س.بلير. "فن وعمارة الإسلام ١٢٥٠-١٨٠٠". مطبعة جامعة ييل ، ١٩٩٤.

(٢) الجادر ، س. (٢٠١٤). سامراء: البرجين التوأمين للعراق القديم. وقائع ندوة الدراسات العربية ، ٤٤ ، ٣٥-٤٢.

(٣) الصالحي ، أ.ح. (٢٠١٨). تطور الشكل الحضري في سامراء: من الحكم الساساني إلى العباسي. نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية ، ٨١ (٢) ، ٢٥٧-٢٨٠

تم استخدام الأنماط الهندسية ، مثل الشيفرون والورود والتعرجات ، بشكل شائع في الأفاريز الزخرفية وأعمال البلاط. أضاف استخدام البلاط المزجج النابض بالحياة لونًا وجاذبية بصرية للمباني ، مما خلق تجربة معمارية آسرة.

ثالثا – الوظائف والدلالات للمباني والآثار في سامراء

سامراء هي مدينة عراقية تاريخية تضم العديد من المباني والآثار التي تشهد على حضارتها وتنوعها الثقافي والفني. بعض هذه المباني والآثار تعود إلى فترة ما قبل الإسلام، وتحمل دلالات جغرافية وديمغرافية ودينية وعسكرية واقتصادية. فيما يلي بعض الأمثلة:

وعاء سامراء الفخاري: هو وعاء فخاري يعود إلى ٤٠٠٠ سنة ق.م، عثر عليه ارنست هيرتسفيلد خلال حفرياته في سامراء ما بين عامي ١٩١١ – ١٩١٤ م. يزين الوعاء نقوش هندسية وحيوانية، ويعكس تطور صناعة الخزف في المنطقة. يُعتبر هذا الوعاء أحد أقدم الأواني الفخارية المزخرفة في التاريخ، وهو معروض في متحف بيرغامون في برلين.

الحصون الإستراتيجية:

هي مجموعة من الحصون التي بُنِيَت في بعض مواقع سامراء خلال الحقبة الساسانية والمناذرة (٢٢٤–٦٥١ م)، لغرض الدفاع عن المدينة من هجمات الرومان والفرس. بعض هذه الحصون ما زالت قائمة إلى الآن، كحصن طيران في شمال سامراء، وحصن زور في جنوبها. تشير هذه الحصون إلى أهمية سامراء كمدينة حدودية وتجارية.[١]

الجامع الكبير:

هو أكبر مسجد في العالم، بُنِيَ في عهد الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢–٢٤٧ هـ/٨٤٦–٨٦١ م)، كجزء من خطة لإحياء المدينة بعد انتقال الخلافة إلى بغداد. يشتهر المسجد بمئذنته الملوية، التي تعد رائعة معمارية فريدة من نوعها، حيث تأخذ شكل أسطوانة حلزونية تصل ارتفاعها إلى ٥٢ مترا. كان المسجد يستخدم لأداء صلاة الجمعة والأعياد، وكان يضم فوارات مائية وأسواقا وحدائق. يُظهِر المسجد رقي الذوق والابتكار في العمارة الإسلامية.[٢]

---

(١) الصالحي ، أ.ح. (٢٠١٩). مدينة سامراء في العصر الإسلامي المبكر: تحليل مقارن للشكل والتخطيط العمراني. مجلة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق ، ٦٢ (٣) ، ٣٦٠–٣٨٩.

(٢) أمين ، عمر (٢٠١١). قصور سامراء: عمارة القصر في بدايات العاصمة العباسية. المقرنصات أونلاين ، ٢٨ (١) ، ١٦٩–٢٠٣.

كانت المباني والمعالم الأثرية في سامراء قبل الإسلام تؤدي وظائف متنوعة وتحمل مؤشرات مهمة حول مجتمع المدينة وثقافتها وسياستها. عرض الجامع الكبير وقصر الخليفة القوة الدينية والسياسية للخلفاء العباسيين ، بينما كانت التحصينات ترمز إلى دفاع المدينة وصمودها. أكدت القنوات ومحطات المياه على أهمية الزراعة والتجارة في المنطقة ، في حين عكس اندماج الأساليب المعمارية الطبيعة العالمية لسامراء. تقدم هذه الهياكل رؤى قيمة عن الحضارة التي ازدهرت في سامراء قبل الإسلام ، وتسلط الضوء على التطورات التكنولوجية ، والتبادلات الثقافية ، والتنظيم المجتمعي. إن دراسة هذه المباني والآثار تعمق فهمنا لتاريخ سامراء الغني وتراثها وأهميتها في فترة ما قبل الإسلام.[1]

الخاتمة: –

لعبت مدينة سامراء في الشرق الأدنى دورًا مهمًا في فترة ما قبل الإسلام. ترك تاريخها الغني وهندستها المعمارية الفريدة علامة لا تمحى في المنطقة ومن بداياتها المتواضعة كمستوطنة زراعية صغيرة إلى تحولها إلى مركز حضري مزدهر، مرت سامراء بفترات ازدهار وتبادل ثقافي وابتكار معماري.

شهدت فترة ما قبل الإسلام في سامراء صعود وسقوط حضارات مختلفة. ترك السومريون والأكاديون والبابليون والآشوريون بصماتهم على المدينة، مما ساهم في تنوعها الثقافي وإرثها المعماري. أصبحت المدينة بوتقة تنصهر فيها مختلف الشعوب واللغات والتقاليد، مما عزز جوًا عالميًا نابضًا بالحيوية.

كما يعكس تخطيط المدينة والتخطيط الحضري عظمتها وتعقيدها. عرض مجمع القصر، المعروف باسم دار الخلافة ، ثراء وقوة الخلفاء العباسيين. خلقت حدائقها الواسعة وأجنحةها ومبانيها الإدارية مجموعة مذهلة بصريًا تنافس عظمة المدن الكبرى الأخرى في ذلك الوقت. علاوة على ذلك ، لم تكن العمارة في سامراء قبل الإسلام مقتصرة على القصور الكبرى والمساجد. تم تزيين المدينة بالعديد من المساكن الخاصة والحمامات العامة والأسواق والتحصينات، كل منها يعرض الحرفية والبراعة المعمارية في تلك الفترة. انتشر استخدام

(١) فيضان ، ف ب. (٢٠٠٠). جامع سامراء الكبير. في ر.هيلنبراند (محرر) ، العمارة الإسلامية: الشكل والوظيفة والمعنى (ص ١٥٨–١٨١). مطبعة جامعة كولومبيا.

الأقواس والقباب وأعمال القرميد المعقدة والزخرفة الجصية المتقنة في جميع أنحاء هياكل المدينة، مما خلق وليمة بصرية للسكان والزوار على حد سواء.

امتد الإرث الفني والثقافي لسامراء إلى أبعد من إنجازاتها المعمارية وكانت المدينة مركزًا للنشاط الفكري والفني ، وجذبت العلماء والشعراء والفنانين من جميع أنحاء المنطقة. أصبح بيت الحكمة، الذي أُنشئ في العصر العباسي، مركزًا معروفًا للتعلم والمنح الدراسية، مما عزز تبادل المعرفة وترجمة النصوص القديمة من اليونانية والفارسية ولغات أخرى إلى العربية.

النتائج: –

- تميزت فترة ما قبل الإسلام في سامراء، وهي مدينة تقع في الشرق الأدنى، بتطورات تاريخية ومعمارية مهمة.
- ازدهرت مدينة سامراء كمركز بارز للنشاط الثقافي والسياسي خلال الخلافة العباسية في القرن التاسع الميلادي.
- عرضت العمارة في سامراء مزيجًا فريدًا من التأثيرات المتنوعة، بما في ذلك العناصر الفارسية وبلاد ما بين النهرين والهيلينستية.
- تميز التخطيط الحضري لسامراء بنمط شارع شعاعي مبتكر ، حيث يقع قصر الخلافة في المركز والأرباح المختلفة التي تشع إلى الخارج.
- تميزت البنية التحتية للمدينة بأنظمة متطورة لإدارة المياه ، مثل القنوات والخزانات ، والتي سهلت الري ودعم الأنشطة الزراعية في المناطق المحيطة.
- كانت سامراء بمثابة بوتقة تنصهر فيها الثقافات ، وجذبت العلماء والفنانين والحرفيين من مختلف المناطق. أثرت مساهماتهم المشهد الفني والفكري للمدينة.
- شهدت فترة ما قبل الإسلام في سامراء تطور أشكال فنية مختلفة ، بما في ذلك المنحوتات الجصية المعقدة ، والخزف النابض بالحياة ، والخط الرائع.
- حدث انحدار سامراء كعاصمة سياسية وثقافية في القرن العاشر الميلادي ، في أعقاب سلسلة من الاضطرابات السياسية والاجتماعية. ومع ذلك ، لا يزال تراثها المعماري والفني مصدر إلهام للعلماء والزوار على حد سواء ، حيث يقدم رؤى قيمة في تاريخ المنطقة.

التوصيات: –

- إجراء مسح شامل للمواقع الأثرية في سامراء لجمع البيانات عن الهياكل والتحف ما قبل الإسلام وسيوفر هذا أساسًا لمزيد من البحث حول تاريخ المدينة والهندسة المعمارية.
- تحليل وتفسير النصوص والوثائق التاريخية من فترة ما قبل الإسلام التي تذكر أو تقدم نظرة ثاقبة في الهندسة المعمارية والتخطيط الحضري لسامراء. سيساعد هذا في فهم السمات التنموية والمعمارية للمدينة.
- دراسة الآثار والمباني المعمارية الموجودة في سامراء كالجامع الكبير والمباني الأخرى من خلال التوثيق المفصل والقياسات والتحليل وسيوفر هذا معلومات قيمة حول تقنيات البناء والمواد المستخدمة والأساليب المعمارية في فترة ما قبل الإسلام.
- استكشف الروابط الإقليمية والدولية لسامراء في عصر ما قبل الإسلام من خلال فحص طرق التجارة والتبادلات الثقافية والتفاعلات التاريخية مع المناطق المجاورة. سيساعد هذا في فهم التأثيرات والتلقيح عبر الثقافات الذي شكل بنية المدينة المعمارية.
- التحقيق في دور سامراء كمركز سياسي وثقافي خلال فترة ما قبل الإسلام من خلال فحص الروايات التاريخية والنقوش والأدلة الخاصة بالمؤسسات الإدارية والثقافية. سيوفر هذا نظرة ثاقبة للديناميات الاجتماعية والثقافية للمدينة.
- دراسة أنظمة إدارة المياه والبنية التحتية لسامراء في فترة ما قبل الإسلام. تحليل التقنيات الهندسية المستخدمة ، بما في ذلك القنوات والخزانات وأنظمة الري ، لفهم تأثيرها على الهندسة المعمارية للمدينة والممارسات الزراعية.
- تحليل العناصر الفنية والزخرفية لسامراء قبل الإسلام ، مثل المنحوتات الجصية والسيراميك والخط ، لتحديد التأثيرات الأسلوبية والتقاليد المحلية وأهمية هذه الأشكال الفنية في المشهد الثقافي للمدينة.
- قارن وقارن بين الهندسة المعمارية لسامراء والمدن المعاصرة الأخرى في الشرق الأدنى لتحديد الاتجاهات المعمارية المشتركة والتغيرات الإقليمية والتبادلات الثقافية المحتملة.

- الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة ، مثل النمذجة ثلاثية الأبعاد ، والاستشعار عن بعد ، ورسم خرائط نظم المعلومات الجغرافية ، لتعزيز فهم وتصور العمارة والتخطيط الحضري قبل الإسلام في سامراء.
- التعاون مع فرق متعددة التخصصات من علماء الآثار والمؤرخين والمهندسين المعماريين ومؤرخي الفن والمتخصصين في المجالات ذات الصلة لاكتساب وجهات نظر ورؤى متنوعة في تاريخ وهندسة سامراء قبل الإسلام.

المراجع والمصادر: –

١. دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ، تعريب وتحقيق: عطية القوصي، الكويت وكالة المطبوعات ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ. / ١٩٨٠م

٢. الحياة الساسية ومظاهر الحضارة في المدينة المنورة في العصر الأموي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، مقدمة إلى كلية التربية للبنات ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .

٣. الإصلاح النقدي في العصر الأموي وأثره على اقتصاد الدولة الإسلامية وإدارتها رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، (قسم التاريخ) ، جامعة الملك عبد العزيز ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .

٤. التجارة في بلاد الشام حتى نهاية العصر العباسي الأول ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة إلى كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الأردن، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٥. الجاسر، حمد. أسواق العرب القديمة ، مجلة العرب ، السنة الثالثة والعشرون ، أيلول/ تشرين الأول ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، الجزء ٧، ٨ .

٦. الصالحي ، اسماعيل. "سامراء: المستبد الشرقي". دار المدى للنشر ، ٢٠٠٤

٧. ارنست هرتسفيلد. "تاريخ سامراء الأثري: دراسات في حضارة وفن الإسلام". المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو ، ١٩٤٨

٨. راشيل ميلشتاين. "مدينة الخلفاء: دراسة شعبية للقاهرة ومعالمها المعمارية". Kessinger Publishing، ٢٠٠٧.

٩. أندريه ريمون. "القاهرة: مدينة التاريخ". مطبعة الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، ٢٠١١

١٠. شيلا س.بلير وجوناثان إم بلوم. "فن وعمارة الإسلام: ١٢٥٠-١٨٠٠". مطبعة جامعة ييل ، ١٩٩٤.
١١. ياسر الطباع. "تحول الفن الإسلامي خلال النهضة السنية". في "إعادة النظر في تراث الفن الإسلامي". إد. J. Barrucand. بريل ، ٢٠٠٥
١٢. جيمس دبليو ألان. "فن العمارة الشيعية الإثني عشرية: العراق وإيران وشبه القارة الهندية." مطبعة جامعة إدنبرة ، ٢٠١١
١٣. مورتون ومارستون سبايت. "سامراء: الموقع وتاريخه". مطبعة كلارندون ، ١٩٧٨
١٤. زينيد أ. راجوزين. "وسائل الإعلام ، بابل ، وبلاد فارس: بما في ذلك دراسة Zend-Avesta أو دين زرادشت ، من سقوط نينوى إلى الحرب الفارسية." Kessinger Publishing، ٢٠٠٥
١٥. هاينز جوب. "طوبوغرافيا سامراء: تحليل أثري لسهل سامراء". Verlag Philipp von Zabern، ١٩٩٤.
١٦. أ هـ. لايارد. "الاكتشافات في أنقاض نينوى وبابل: مع الرحلات في أرمينيا وكردستان والصحراء: نتيجة رحلة استكشافية ثانية لأمناء المتحف البريطاني." بيل ودالدي ، ١٨٥٣
١٧. محسن محمد سليم. "فن العمارة الإسلامية في القاهرة". الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، ٢٠٠٧
١٨. شيلا س.بلير وجوناثان إم بلوم. "فنون إسلامية". مطبعة فايدون ، ١٩٩٧
١٩. كينيدي ، هيو. "ديوان الخلفاء: عندما حكمت بغداد العالم الإسلامي". كتب أساسية ، ٢٠٠٥.
٢٠. نورثيدج ، اليستر. "الطبوغرافيا التاريخية لسامراء". المدرسة البريطانية للآثار في العراق ٢٠٠٥.
٢١. الحديثي ، صباح عبود. "سامراء: أكبر موقع أثري في العالم." المجلس الوطني للآثار والتراث ، ٢٠١٦.
٢٢. نيسيبوغلو ، غولو. "لفيفة توبكابي – الهندسة والزخرفة في العمارة الإسلامية". منشورات جيتي ، ١٩٩٥.

٢٣. بلوم ، جوناثان إم ، وشيلا س.بلير. "فن وعمارة الإسلام ١٢٥٠-١٨٠٠". مطبعة جامعة ييل ، ١٩٩٤.